سلسلة بطاقات شبكة بينونة

قَوَاعِدُ إيمانيَّةٌ وعِلميَّةٌ

زمن انتشار الأوبئة

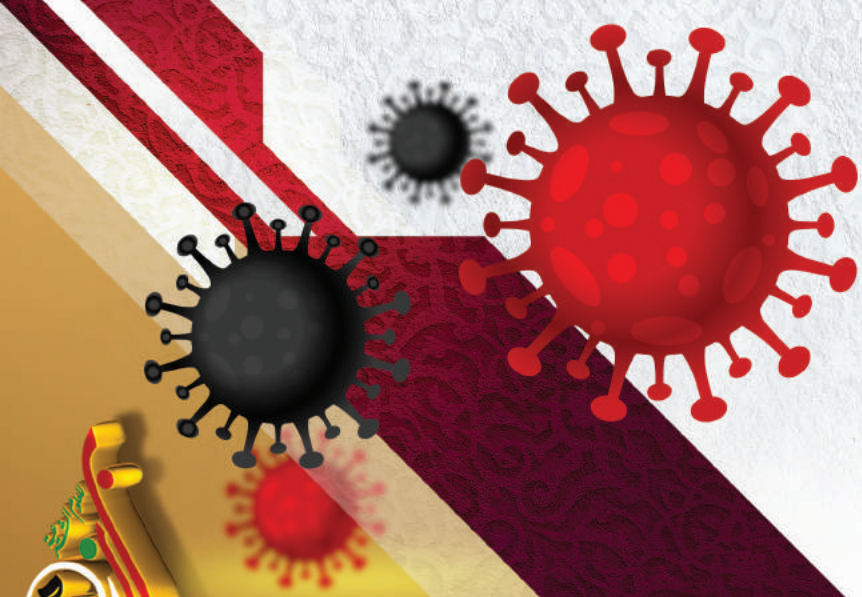

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

القاعدة الأولى:
كمال العبودية يترتب عليه كمال الحفظ والكفاية.

قال تعالىٰ: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ [الزمر:٣٦]، فمن تمم العبودية لله كمل الله له الكفاية والحفظ(١) من كل ما يخشاه، ففي فترة انتشار الأوبئة أحوج ما يكون العبد له أن يكون قريبًا من ربِّه، يعبده ويتقرب إليه بأنواع العبادات؛ ولهذا كان مسروق رَحِمَهُ ٱللَّهُ يجتهد زمن الطاعون في العبادة، فعَنْ أَنَسِ بْنِ سِيرِينَ، قَالَ: «بَلَغَنَا بِالْكُوفَةِ أَنَّ مَسْرُوقًا كَانَ يَفِرُّ مِنَ الطَّاعُونِ، فَأَنْكَرَ ذَلِكَ مُحَمَّدٌ وَقَالَ: انْطَلِقْ بِنَا إِلَىٰ امْرَأَتِهِ فَلْنَسْأَلْهَا، فَدَخَلْنَا عَلَيْهَا فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذَلِكَ فَقَالَتْ: كَلَّا وَاللهِ، مَا كَانَ يَفِرُّ،وَلَكِنَّهُ كَانَ يَقُولُ: أَيَّامُ تَشَاغُلٍ فَأُحِبُّ أَنْ أَخْلُوَ لِلْعِبَادَةِ، فَكَانَ يَتَنَحَّىٰ فَيَخْلُو لِلْعِبَادَةِ، قَالَتْ: فَرُبَّمَا جَلَسْتُ خَلْفَهُ أَبْكِي مِمَّا أَرَاهُ يَصْنَعُ بِنَفْسِهِ، قَالَتْ: وَكَانَ يُصَلِّي حَتَّىٰ تَوَرَّمَ قَدَمَاهُ»(٢).

(١) ينظر: الوابل الصيب لابن القيم (٧).
(٢) الطبقات الكبرىٰ لابن سعد (٦/ ٨١).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان الزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة الثانية:

﴿وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ﴾ [الطلاق:٣].

فاعتماد القلب على الله مع اتخاذ الأسباب الوقائية توكل على الله، ومن توكل على الله حقَّ توكله فإن الله حسبه وكافيه وكفى بالله حسيبًا، وليس من الشرع ترك الأسباب الوقائية؛ فإنَّ تركها إخلال بالشرع، وقدح في العقل، وقد قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ فِي أَرْضٍ، فَلا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلا تَخْرُجُوا فِرَارًا مِنْهُ»(١)، وقال: «لا يُورِدُ مُمْرِضٌ عَلَى مُصِحٍّ»(٢)، ومن اتخاذ الأسباب لزوم البيت وعدم مخالطة الناس.

ومن جميل توجيهات الصحابة الوقائية في زمن طاعون عمواس ما قاله الصحابي الجليل عَمْرُو بْنُ الْعَاصِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّ هَذَا الْوَجَعَ إِذَا وَقَعَ فَإِنَّمَا يَشْتَعِلُ اشْتِعَالَ النَّارِ، فتجبَّلوا منه في الجبال»(٣)، أي تحصنوا منه بدخولكم في الجبال، واليوم في انتشار وباء كورونا التحصُّن منه يكون بلزوم البيوت.

مسألة مهمة: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا عَدْوَى»(٤)، فنفي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للعدوى لا يعني نفيَ انتقالها؛ بل المقصود نفي كونها مؤثرة بنفسها استقلالًا من دون قدرة الله، إذن العدوى تكون بتقدير الله، ثم جعل الله عدم سلوك السبب في الوقاية منها سببًا لانتقالها، وعليه فقد يغلط بعض الناس من جعل العدوى مؤثرة بنفسها، ويغلط بعضهم فيظن أنها لا تنتقل وتعدي.

(١) رواه مسلم (٢٢١٩).
(٢) مسلم (٢٢٢١).
(٣) تاريخ الطبري(٤/ ٦٢)
(٤) رواه البخاري(٥٧٥٦)، ومسلم(٢٢٢٠).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان الزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة الثالثة:

« احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْكَ » [رواه الترمذي (٢٥١٦)].

فمن حفظ شرع الله وعمل به حفظه الله، فعلىٰ قدر الحفظ يكون الحفظ، فمن أخطر الأمور أن يكون العبد في زمن البلاء مضيعًا لشرع الله،تاركًا لما أوجب الله، واقعا فيما حرم الله، قال النعمان بن بشير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: « إِنَّ الْهَلَكَةَ كُلَّ الهلكة أن تعمل السيئات فِي زَمَانِ الْبَلَاءِ »(١)، وأخص بالذكر الصلاة، لا سيما وقد علِّقت الصلاة في المساجد وأُمر بها في البيوت، فإياك ثم إياك أن تضيع صلاتك، بل اجتهد في أدائها وإقامتها علىٰ شروطها وأركانها، وأكثر من النوافل ما استطعت، قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: « خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللهُ -تَعَالَىٰ- مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ كَانَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ فَلَيْسَ لَهُ عَلَىٰ اللهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ »(٢).

لفتة مهمة من علامات تعظيم الصلاة: «رعاية أوقاتها وحدودها والتفتيش علىٰ أركانها وواجباتها وكمالها، والحرص علىٰ تحينها في أوقاتها، والمسارعة إليها عند وجوبها، والحزن والكآبة والأسف عند فوت حق من حقوقها، كمن يحزن علىٰ فوت الجماعة ويعلم أنه تقبلت منه صلاته منفرداً فإنه قد فاته سبعة وعشرون ضعفًا»(٣).

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٨/ ٢٤٥).
(٢) رواه أبو داود (٤٢٥).
(٣)الوابل الصيب (١٦).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان الزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة الرابعة: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

«فِي هَـذِه الْآيَة عـدَّة حكـم وأسـرار ومصالـح للْعَبـد؛ فَإِن العَبْد إِذا علـم أَن الْمَكْرُوه قـد يَأْتِي بالْمحبوب والمحبوب قـد يَأْتِي بالمكـروه، لـم يَأْمَـن أَن توافيـه الْمضـرَّة مـن جَانـب المسـرَّة، وَلـم ييـأس أَن تَأْتيـه المسـرة مـن جَانـب الْمضـرَّة؛ لعـدم علمـه بالعواقـب، فَـإِن الله يعلـم مِنْهَـا مَـا لا يُعلمـهُ العَبْـد»[1].

فكـم في هـذه النازلـة الوبائيـة مـن حكـم ومصالـح للعبـاد ومـن ذلـك: رجـوع العبـد إلـىٰ ربـه، وترابطـه بقيادتـه، وتعاونـه مـع مجتمعـه، ووقوفهـم صفًـا واحـدًا متلاحمًـا أمام هـذه الابتلاءات، وكذلـك مـا حصـل للعبـد مـن معرفـة نعمة الله عليـه حـال الرخـاء، ومـا استشـعره الإنسـان مـن أن كثيـرًا مـن الكماليـات يمكـن الاسـتغناء عنهـا، مـع مـا يصحـب ذلـك مـن العلـم الـذي يتعلمـه العبـد والعمـل الـذي عمـل بـه والخبـرات التـي اكتسـبها ممـا لـم يكـن يحصـل عليـه في حـال الرخـاء، وصـدق مـن قـال: «النـاس سـواء فـإذا جـاءت المحـن تباينـوا».

(١) الفوائد لابن القيم (١٩٨).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة الخامسة:
الرضا بالقدر راحة القلب والصدر.

قال تعالىٰ:
﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[١]،

فكل ما يصيب الأرض من الأوبئة والأمراض فإنه بإذن الله وبقدر من الله، فعلىٰ العبد أن يؤمن به ويسلم لقدره؛ حتىٰ يهتدي قلبه وينشرح صدره، فلا يجزع ولا يهلع، بل عليه بالصبر، فما من مصيبة نزلت إلا رفعت، ولا توالت إلا تولت، ولا كبرت إلا صغرت، ولا جلَّت إلا تجلَّت.

وهنا وقفة مهمة: قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إذا ابتلىٰ الله عبده بشيء من أَنواع البلايا والمحن، فإن ردَّه ذلك الابتلاء والمحن إلىٰ ربِّه وجمعه عليه وطرحه ببابه؛ فهو علامة سعادته وإرادة الخير به، والشدَّة بتراء لا دوام لها وإن طالت، فتقلع عنه حين تقلع وقد عوض منها أجلَّ عوض وأفضله؛ وهو رجوعه إلىٰ الله بعد أن كان شاردًا عنه، وإقباله عليه بعد أن كان نائيًا عنه، وانطراحه علىٰ بابه بعد أن كان معرضًا، وللوقوف علىٰ أبواب غيره متعرضًا، وكانت البلية في حق هذا عين النعمة»[٢].

---

(١) التغابن: ١١.
(٢) طريق الهجرتين (١/ ٣٤٨).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة السادسة:
لا يأس من رحمة الله ولا أمن من مكر الله.

الحذر من القنوط من رحمة الله، والأمن من مكر الله، فالمسلم يسير بين الخوف والرجاء لا يقنط وييأس من رحمة الله، فالله رحيم بعباده أرحم بهم من أمهاتهم وقد كتب علىٰ نفسه الرحمة، وكذلك يحذر العبد من الأمن من مكر الله فلا يأمن العذاب وهو واقع في السيئات والذنوب، مفرط في الواجب، قال تعالىٰ:

﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّقَوْا۟ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن كَذَّبُوا۟ فَأَخَذْنَٰهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٩٩﴾﴾[١].

فما تراه من خوف وهلع مفرط ويأس وقنوط مخالفٌ للشرع مبعد عن الرب، وما تراه من أمن وتساهل واستهتار مخالف للشرع مؤذن بغضب الرب.

والخوف إن زاد أفضىٰ لقنوط كما ... يفضي الرجاء لأمن المكر والنقم

(١) الأعراف: ٩٦-٩٩.

القاعدة السابعة:
التوبة من الذنوب نجاة للشعوب.

«التوبة من الذنوب ترفع المصائب والابتلاءات عن الشعوب، فإن الذنوب تُزِيلُ النِّعَمَ، وَتُحِلُّ النِّقَمَ، فَمَا زَالَتْ عَنِ الْعَبْدِ نِعْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا حَلَّتْ بِهِ نِقْمَةٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا نَزَلَ بَلَاءٌ إِلَّا بِذَنْبٍ، وَلَا رُفِعَ إِلَّا بِتَوْبَةٍ»، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ﴾[1]»[2].

وهنا وقفة تأمل وتفكر، قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ: «وَلَمْ تَزَلْ أَعْمَالُ بَنِي آدَمَ وَمُخَالَفَتُهُمْ لِلرُّسُلِ تُحْدِثُ لَهُمْ مِنَ الْفَسَادِ الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مَا يَجْلِبُ عَلَيْهِمْ مِنَ الْآلَامِ وَالْأَمْرَاضِ، وَالْأَسْقَامِ، وَالطَّوَاعِينِ، وَالْقُحُوطِ وَالْجُدُوبِ، وَسَلْبِ بَرَكَاتِ الْأَرْضِ وَثِمَارِهَا وَنَبَاتِهَا، وَسَلْبِ مَنَافِعِهَا أَوْ نُقْصَانِهَا أُمُورًا مُتَتَابِعَةً يَتْلُو بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِنْ لَمْ يَتَّسِعْ عِلْمُكَ لِهَذَا فَاكْتَفِ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ﴾[3]»[4].

ومن المهم هنا أن يكثر الناس من الاستغفار، فللاستغفار أثر عظيم في رفع البلاء ودفعه، قال تعالىٰ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمۡ وَهُمۡ يَسۡتَغۡفِرُونَ﴾[5].

وهاهنا تنبيه مهمٌّ: وهو حمل هذه المصائب علىٰ علَّة توهن الرجوع إلىٰ الله، فإن بعض الناس إن وجِّه للتوبة والاستغفار، وبيِّن له أن هذه المصائب سببها سيئات الإنسان؛ علَّلها بأنها حروب بيولوجية أو حروب اقتصادية أو سياسية؛ فينشغل بهذه التحليلات عن المقصود الكبير هو الرجوع إلىٰ الله بالتوبة من السيئات.

---

(١) الشورىٰ:٣٠.
(٢) الداء والدواء لابن القيم (١١٨).
(٣) الروم:٤١.
(٤) زاد المعاد (٤/ ٣٣٢)
(٥) الأنفال:٣٣.

القاعدة الثامنة:
حسن الظَّنِّ بالله سرُّ السعادة والنجاة.

حسن الظن بالله في هذه الامتحانات والابتلاءات والأوبئة من أهمِّ ما يحرص عليه المسلم، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، فَلْيَظُنَّ بِي مَا شَاءَ»(١)؛ فمن ظنَّ خيرًا وجد خيرًا، ومن ظن شرًّا وجد شرًّا، ومن الخطورة بمكان أن يظن العبد أن الله لا يكشف هذا الوباء، أو أنه يبيد المؤمنين عامة، وقد توعَّد الله الظَّانِّين به السوء أشدَّ الوعيد، فقال: ﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾(٢).

---

(١) رواه أحمد (١٦٠١٦).
(٢) الفتح: ٦.

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة التاسعة: الطبُّ النبويُّ طبٌّ ربانيٌّ.

المواظبة علىٰ الطبِّ النبويِّ؛ فإن الأعشاب النبوية لها أثر في علاج الأمراض والحماية منها، ولك في وصفة طبية نبوية واحدة العبرة، فقد قال رسول الله صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَلَيْكُمْ بِهَذِهِ الْحَبَّةِ السَّوْدَاءِ؛ فَإِنَّ فِيهَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ إِلَّا السَّامَ»[1].

يقول ابن القيم رَحِمَهُ اللهُ في بيان منزلة الطبِّ النبوي: «نِسْبَةُ طِبِّ الْأَطِبَّاءِ إِلَيْهِ -أي إلىٰ طبِّ النبي- كَنِسْبَةِ طِبِّ الطُّرُقِيَّةِ وَالْعَجَائِزِ إِلَىٰ طِبِّهِمْ»، ثم بين أن طبَّ الأطباء مستخرج إما من قياس أو تجربة، أما طبُّ النبي صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهو طبٌّ رباني فقال: «وَأَيْنَ يَقَعُ هَذَا وَأَمْثَالُهُ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللهُ إِلَىٰ رَسُولِهِ بِمَا يَنْفَعُهُ وَيَضُرُّهُ فَنِسْبَةُ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الطِّبِّ إِلَىٰ هَذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَىٰ مَا جَاءَتْ بِهِ الْأَنْبِيَاءُ، بَلْ هَاهُنَا مِنَ الْأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الْأَمْرَاضِ مَا لَمْ يَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الْأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجَارِبُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ مِنَ الْأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ»[2].

(١) رواه البخاري (٥٦٨٨)، ومسلم (٢٢١٥).

(٢) زاد المعاد (٤/ ١٠)، قد أودع ابن القيم في كتاب زاد المعاد بابًا نفيسًا في الطيب النبوي، حريٌّ بمن أراد التفقه في هذا الباب أن ينظر فيه.

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة العاشرة:
الارْتِبَاطُ بالأمَرَاءِ عِنْدَ حُلُولِ البَلَاءِ.

قال تعالىٰ: ﴿ وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُوا۟ بِهِۦ ۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْ ۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾[١]

فهذه النوازل العامَّة تُردُّ إلىٰ ولاة الأمر، ليس لأفراد الناس أن يفتاتوا أو يتقدَّموا فيها بقرارات أو توجيهات حتىٰ لا تحدث الفوضىٰ والاختلافات، وقد وجه ولاة الأمر ببعض القرارات الوقائية التي تحفظ للشعب صحته، فلزم علىٰ الشعب الأخذ بها، والتعاون علىٰ تحقيقها.

وليحذر المسلم من الدخلاء والمتطفِّلين الذي يريدون إرباك المجتمعات وتخويفها، أو إضعاف المبادرات الوقائية، أو قلب تلك المبادرات إلىٰ مذمة أو جريمة مجتمعية أو مخالفة شرعية؛ كما فعل بعض دعاة الفتنة في قلب مفاهيم قرارات تعليق الصلاة في المساجد.

لفتة مهمة: من السمع والطاعة لولاة الأمر الالتزام بقرار المكث في البيوت، وعدم التَّجول والخروج سواء كان منعًا كليًّا أو منعًا جزئيًا؛ لأن ذلك يندرج تحت نصوص السمع والطاعة لهم بالمعروف، ولك في أئمة الدين القدوة في ذلك، فقد قَالَ فَقِير: قُلْتُ لَيْلَةً لأَبِي وَهْبٍ: **«قُمْ بِنَا لزِيَارَةِ فُلَانَ. قَالَ: وَأَيْنَ العِلْمُ؟ وَلِيُّ الأَمْرِ لَهُ طَاعَة، وَقَدْ منعَ مِنَ المشِي ليلاً»**[٢].

نصيحة: عند لزومِك البيتَ استغل وقتَك فيما فيه نفع لك ولأسرتك، فقسم وقتك بين قراءة القرآن والكتب النافعة[٣]، وأداء العبادات، والجلوس مع الأهل، ومتابعة تعليم الأبناء، والتدريبات الرياضية، والتواصل الهاتفي مع أقاربك وأصدقائك وغير ذلك مما فيه خير لك في دينك ودنياك، ولا تترك الوقت يمضي عليك دون استثمار، فإنَّ أعظم الخسارة أن تخسرَ وقتك فتضيِّع عليك ساعات عمرك فيما لا ينفعك في دينك وحياتك.

موعظة صغيرة: **«النفس إن لم تشغلها بالحق شغلتك بالباطل، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله ﷻ سكنه محبة المخلوقين ولا بد، وهو اللسان إن لم تشغله بالذكر شغلك باللغو وما هو عليك ولا بد، فاختر لنفسك إحدىٰ الخطتين، وأنزلها في إحدىٰ المنزلتين»**[٤].

---

(١) النساء:٨٣.
(٢) سير أعلام النبلاء (١٥/ ٥٠٧).
(٣) ومن تلك الكتب المختصرة المفيدة: تفسير العلامة السعدي، رياض الصالحين للنووي، عقيدة أهل السنة والجماعة لابن عثيمين، الفوائد والداء والدواء لابن القيم، أدب الدين والدنيا للماوردي، نور اليقين في سيرة سيد المرسلين للشيخ الخضري، وغيرها من الكتب النافعة.
(٤) الوابل الصيب لابن القيم (١٩٨)

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة الحادية عشرة: الارتباط بالعلماء الربانيين في زمن انتشار الأوبئة والطواعين.

قال تعالىٰ:

﴿فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾[(١)]

في زمن الابتلاءات وانتشار الأوبئة يحتاج الناس إلىٰ من يرجعون إليه؛ فيوجههم الوجهة الصحيحة، ويسكن نفوسهم المضطربة، وقلوبهم الخائفة، وليس ذلك لأحد مثل أهل العلم الربانيين المعتدلين، يقول علي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**ألا أخبركم بالفقيه حق الفقيه؟ الذي لا يقنط الناس من رحمة الله، ولا يرخص للمرء في معاصي الله**»[(٢)]، فهذه من صفات العلماء المعتدلين، أما علماء السوء فهم بين تقنيط للعباد وإثارتهم ضد دولهم أو فتح أبواب البدع والفساد عليهم.

---

(١) الأنبياء:٧.
(٢) العلم لأبي خيثمة (١٤٣).

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة الثانية عشرة:
الفأل الحسن يبعث الأمل.

الفأل الحسن: هو الكلمة الطيبة، فقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يعجبه الفأل، ولما سئل عنه قال: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»[١]، فمن الأمور الشرعية المهمة ومما يهدئ النفوس ويريح القلوب الكلمة الطيبة، التي منبعها حسن الظن بالله خصوصًا عند نزول الأوبئة، ومما لا يصلح ما يبثه بعض الناس من كلمات اليأس والإحباط التي منبعها سوء الظن بالله، أو كلمات الشؤم التي يتناقلها بعض الناس من أن هذه سنة شؤم أو نحس.

(١) رواه أحمد (٧٦١٨)

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن قذلان المزروعي

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة الثالثة عشرة:
كلُّ داءٍ لا بدَّ له من دواء.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَا أَنْزَلَ اللهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً»(١)،

فأبشروا وأمِّلوا فإن الدواء عما قريب يعرف، والمرض -بإذن الله- ينجلي ويكشف؛ لأن الله لم ينزل داء إلا أنزل له دواء ليرفعه ويعالجه.

لكن ينبغي أن يتفطن لأمر مهم: وهو أن الذي أنزل الدواء هو الذي يهدي العباد لمعرفته، وأن هذا الدواء لا يشفي إلا بإذن من أنزله، فرجع الأمر إلىٰ الله؛ فلزم الرجوع إلىٰ الله.

(١) رواه البخاري (٥٦٧٨)

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة الرابعة عشرة:
المحافظ على الأذكار يحفظه العزيز الغفار.

الحصن الحصين ذكر الله في الصباح والمساء، وبعد كل صلاة، وقبل النوم وبعده، وإذا نزل منزلًا، وإذا خرج من بيته، وإذا دخل الخلاء، ودخل قرية أو بلدة، وتأمَّلْ من قال حين يصبح ويمسي: «بِسْمِ اللهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» (ثلاث مرات) لم يضره شيء[١]، هذا في ذكر واحد، فكيف إن كان العبد محافظًا علىٰ جميع الأذكار؟! فإنه لا يزال في حفظ الله ومعيته[٢].

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في فوائد الذكر: «أن ذكر الله ﷻ يسهل الصعب، وييسر العسير، ويخفف المشاق، فما ذكر الله ﷻ علىٰ صعب إلا هان، ولا علىٰ عسير إلا تيسر، ولا مشقة إلا خفت، ولا شدة إلا زالت، ولا كربة إلا انفرجت، فذكْر الله -تعالىٰ- هو الفرج بعد الشدة، واليسر بعد العسر، والفرج بعد الغم والهم»[٣].

(١) رواه أبو داود (٥٠٨٨) وغيره.
(٢) من الكتيبات المفيدة الجامعة للأذكار: حصن المسلم لسعيد القحطاني.
(٣) الوابل الصيب (١٨٤).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة الخامسة عشرة:
صدق الدعاء يصير البلاء كالهباء.

قال تعالىٰ:

﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[١]،

فمهما كبر البلاء فعند صدق الدعاء يكون كالهباء، فالهج يا عبد الله في مثل هذه الابتلاءات إلىٰ الله؛ فهو مجيب دعوة المضطر، وكاشف الضُرِّ لا يكشفه إلا هو، وهل كشف الله البلاء الذي وقع بالأنبياء إلا بعد الدعاء؟! ولك أن تتأمل في سورة الأنبياء: ﴿فَاسْتَجَبْنَا لَهُ﴾ بعد دعاء نوح وأيوب ويونس وزكريا -عليهم السلام-، وبعد التأمُّل تدبَّرْ النجاة من الكرب العظيم، ودفع الضر، والنجاة من الغمِّ، ووهب الولد؛ تعرف منزلة الدعاء.

وقد كان النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يسأل الله العافية ويحث علىٰ ذلك[٢]، وكان ويستعيذ من الأمراض[٣] والأسقام.

---

(١) البقرة:١٨٦.
(٢) ينظر: البخاري (٢٩٦٦)، ومسلم (٢٧١٢)، وسنن أبي داود (٥٠٧٤)، وسنن ابن ماجه (٣٨٧١).
(٣) سنن أبي داود (١٥٥٤).

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE @Baynoonanet

القاعدة السادسة عشرة:
عند الابتلاءات احذر الإشاعات.

قال تعالى:

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوۡمَۢا بِجَهَٰلَةٖ فَتُصۡبِحُواْ عَلَىٰ مَا فَعَلۡتُمۡ نَٰدِمِينَ ﴾[١]،

فليس كل خبر مقبول؛ وإنما تؤخذ الأخبار من مصادرها المعتمدة في الدولة ومن أهل التخصص في هذا الشأن، وعليه فالحذر من الإشاعات ونقلها دون تثبت، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ: « كَفَى بِالْمَرْءِ كَذِبًا أَنْ يُحَدِّثَ بِكُلِّ مَا سَمِعَ »[٢].

وكذلك علينا الحذر ممن يتكلم في غير فنِّه، أو من المجاهيل الذين يتصدرون المشهد.

(١) الحجرات:٦.
(٢) رواه أبو داود(٤٩٩٢)

www.baynoona.net @Baynoonanet @Baynoonanet @BaynoonanetUAE

القاعدة السابعة عشرة:
الصدقات تدفع المحن والابتلاءات.

قد مثل رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لصاحب الصدقة مثالًا عظيمًا فقال: «وَآمُرُكُمْ بِالصَّدَقَةِ فَإِنَّ مَثَلَ ذَلِكَ كَمَثَلِ رَجُلٍ أَسَرَهُ الْعَدُوُّ، فَأَوْثَقُوا يَدَهُ إِلَىٰ عُنُقِهِ وَقَدَّمُوهُ لِيَضْرِبُوا عُنُقَهُ، فَقَالَ: أَنَا أَفْدِيهِ مِنْكُمْ بِالْقَلِيلِ وَالْكَثِيرِ، فَفَدَىٰ نَفْسَهُ مِنْهُمْ»(١).

قال ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «هذا أيضًا من الكلام الذي برهانه وجوده، ودليله ووقوعه، فإن للصدقة تأثيرًا عجيبًا في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم بل من كافر، فإن الله تعالىٰ يدفع بها عنه أنواعًا من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به لأنهم جربوه»(٢).

فهنيئًا لأهل الأموال والتجارات الذين بذلوا أموالهم وقدَّموا التبرعات، ويا خيبة ذلك التَّاجر الذي استغلَّ فترة الوباء ليغالي في الأسعار، قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ التُّجَّارَ يُبْعَثُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فُجَّارًا، إِلَّا مَنِ اتَّقَىٰ اللهَ وَبَرَّ وَصَدَقَ»(٣)، ويا خسارة ذلك التاجر الذي احتكر البضائع ليغالي بالأسعار في فترات الوباء، في وقت يتنافس فيه الناس في الخير ويتعاونون في دفع البلاء، وقد قال رسول الله صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَحْتَكِرُ إِلَّا خَاطِئٌ»(٤).

---

(١) رواه الترمذي(٢٨٦٣).
(٢) الوابل الصيب ٦٩.
(٣) رواه الترمذي(١٢١٠).
(٤) رواه مسلم(١٦٠٥).

www.baynoona.net @Baynoonanet @BaynoonanetUAE

القاعدة الثامنة عشرة:
الجزاء من جنس العمل.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

«مَنْ نَفَّسَ عَنْ مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرَبِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ يَسَّرَ عَلَىٰ مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللهُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا، سَتَرَهُ اللهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَاللهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ»[1]، فكلُّ من سعىٰ في علاج الأمراض عن غيره عالج الله عنه تلك الأمراض، وكلُّ من خفف ألمًا خفَّف الله ألمه، وهكذا حتىٰ يكون العبد في عونٍ من الله، وأيُّ عون أعظم وأجل وأنفع للعبد من عون الله له.

فاحرص علىٰ هذا الباب غايتك لا سيما في زمن انتشار الأمراض والأوبئة فإن الناس في حاجة لإخوانهم، وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَالآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ»[2]،

وفي هذه القاعدة بشارة للقطاع الصحي الذي كان في الصف الأول في مواجهة هذه الوباء، فنيئًا لهم هذه الثمرة والجزاء.

(١) رواه مسلم (٢٦٩٩).
(٢) رواه الطبراني في المعجم الكبير(٨٠١٤)، دون لفظ: «وَالآفَاتِ، وَالْهَلَكَاتِ»، وقد صححها الألباني في صحيح الجامع (٣٧٩٥).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان الزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة التّاسعة عشرة:
لا تعمل في زمن المحن بما يخالف السّنن.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ»(١)، عندما تحلُّ الفتن والابتلاءات يضطر العباد إلىٰ الرجوع إلىٰ الله بفعل العبادات، فمن لم تكن له قاعدة علمية شرعية ردَّه الشيطان إلىٰ عبادات بدعية أو شركية؛ كدعاء غير الله، كمن يدعو الحسين أو الأولياء، أو دعاء الله بأدعية محدثة، كمن يدعو بدعاء يظنه مخصوصًا بالوباء، أو ذكر الله بطريقة مخترعة، كالذي أحدث في الواتساب من تحديد ساعة لاستغفار جميع العالم، أو الصلاة لله بصلاة محدثة كتحديد ساعة ليصلي فيها جميع العالم، وكل تلك الأعمال مردودة لعدم موافقتها للشريعة، أما من كانت عنده قاعدة شرعية علمية رجع إليها؛ فأدَّىٰ العبادات مخلصًا لله، متبعًا فيها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

أسأل الله القوي المتين العزيز الرحيم أن يلطف بنا، ويصرف عنا هذا الوباء، ويسلم لنا بلادنا وجميع بلاد المسلمين.

(١) رواه مسلم (١٧١٨).

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن نزال المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

القاعدة العشرون:

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾

[لقمان:١١]

خلق الله هذا الكون فأبدعه وجعله متكاملًا منتظمًا، وأودع فيه عجائب خلقه مما تحيرت في معرفته العقول وتعجبت في النظر إليه العيون، واندهشت عند سماع صوته الآذان، وما أن تقلب بصرك في هذا الكون إلا ورأيت عجائب خلق الله، ومن عجائب خلق الله هذه الفيروسات الصغيرة التي يتراوح حجمها من (١٠) إلىٰ (٣٠٠) نانومتر، أي أن المليمتر الواحد يحتوي علىٰ مليون نانو، فهو جزء من مليار جزء من المتر، أي أنه لا يرىٰ بالعين المجردة، بل ولا بالمجهر الضوئي، لكنَّ الله جلَّ وعلا وهو في سماه علىٰ عرشه يراه، بل ويرىٰ من دون ذلك قال تعالىٰ: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾[١].

فَـلا يَخْفَـىٰ عَلَيْـهِ الـذَّر إمَّـا[٢] تَـرَاءىٰ لِلنَّوَاظِـرِ أَوْ تَـوَارىٰ[٣]

وقفة تأمُّل: تأمل فايروس بمثل هذا الحجم يتسبب في تعطيل شبه الحياة، وخوف الأحياء، وتحيُّر الأطباء، واختلال الاقتصاد، وتوقف الحركة النقل في العالم، أليس في ذلك عبرة وعظة بلىٰ، إذًا لا بدَّ في مثل هذه الآيات أن تستفاد العبر والعظات

إذا المرء كانت له فكرة ... ففي كلِّ شيء له عبرةٌ[٤]

فيقف الإنسان وقفة تأمل واعتبار:

فتأمل في حال الإنسان فإنه مهما كانت عنده من القوة والقدرة، إلا أنه ضعيف لا غنىٰ له عن ربِّه طرفة عين، قال تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾[٥].

وأردفِ التأمُّل تأمُّلًا في عظيم قدرة الله وعجائب خلقه في هذا الكون، ثم اتبع ذلك التَّأمُّل الاعتبار لمثل هذه الآيات التي أحدثت هذه التقلبات، ليظهر ظهورًا بيِّنًا لا شكَّ فيه أن الله هو الحقُّ لا خالق إلا هو ولا معبود بحقٍّ إلا هو قال تعالىٰ: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلْءَافَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾[٦]

أسأل الله القوي المتين العزيز الرحيم أن يلطف بالمسلمين، وأن يجعلنا بآياته من المعتبرين، وأسأله أن يصرف عنا هذا الوباء، ويسلم لنا بلادنا وجميع بلاد المسلمين.

---

(١) يونس:٦١.
(٢) إمّا هنا للتنويع.
(٣) تفسير ابن كثير(٦/ ٥٢).
(٤) تفسير ابن كثير(٣/ ٢٩٦).
(٥) فاطر:١٥.
(٦) فصلت:٥٣.

الشيخ د. أحمد بن مبارك بن سليمان المزروعي

www.baynoona.net
@Baynoonanet
@BaynoonanetUAE

@BaynoonanetUAE @Baynoonanet www.baynoona.net